محاضرات السداسي الأول لطلبة السنة الأولى ماستر علم النفس العمل والتنظيم وتسيير الموارد البشرية

المادة	**علم النفس الاجتماعي للمنظمات**
أستاذ المادة	**د. براخلية عبد الغني**
الشعبة	**علم النفس**
المستوى	**السنة الأولى ماستر**
الموسم الجامعي	**2021/2020**

المحاضرة الثانية

مدخل مفاهيمي (تابع)

أولا: مدخل تاريخي لتطور علم النفس الاجتماعي:

على الرغم من أن علم النفس الاجتماعي هو مجال حديث العهد نسبيا، إلا أن المشكلات التي يتناولها تعود إلى عصور ما قبل الميلاد، حيث ركزت أقدم النصوص المكتوبة، على الأسئلة الأساسية حول لماذا وكيف يتصرف البشر بالطريقة التي يتصرفون بها، وحاول الفلاسفة والشعراء والكتاب تحديد القوى النفسية المسؤولة عن السلوك الاجتماعي البشري. ومع ذلك، لم يتم وضع هذه الأسئلة تحت عدسة البحث العلمي إلا في القرن العشرين، ومع هذا فقد تأثرت أصول علم النفس الاجتماعي بعدة وجهات نظر واسعة ذكرها Greenberg et all (2015) كما يلي:

أ/ النظرة الغريزية لسلوك الإنسان:

في عام 1855، نقل عالم الاجتماع البريطاني هربرت سبنسر H. Spencer نظرية التطور لتشارلز داروين عن طريق الانتقاء الطبيعي من المجال البيولوجي إلى المجال الاجتماعي، وجادل سبنسر بأن السلوك الاجتماعي هو نتيجة لنفس العمليات التطورية التي تنتج

الخصائص الفيزيائية مثل حجم الجسم ولون العين، وقرر سبنسر أن المجتمعات تتطور تماما كما تتطور الكائنات الحية، وتصبح أكبر وأكثر تعقيدا وأكثر تمايزا بمرور الوقت.

أثرت نظرة سبنسر التطورية للنشاط البشري بشكل كبير على ويليام ماكدوغال William McDougall عندما نشر أول كتاب لعلم النفس الاجتماعي، مقدمة في علم النفس الاجتماعي، في عام 1908، واقترح McDougall في هذا الكتاب أن معظم السلوك البشري يتم تحديده بشكل غريزي، تماما كما هو الحال بالنسبة للعناكب التي تنسج شبكاتها والقنادس التي تبني السدود، وبالتالي لا تتعلم ولا تتأثر بالتجربة. ووقف مفهوم ماكدوغال هذا للسلوك البشري الغريزي في تناقض حاد مع ما سيصبح أكثر مدرستين فكريتين مهيمنتين في علم النفس الأكاديمي خلال النصف الأول من القرن العشرين وهما مدرسة التحليل النفسي والمدرسة السلوكية.

ب/ نظرة مدرسة التحليل النفسي:

ادعى سيغموند فرويد Sigmund Freud، أن السلوك البشري يتم توجيهه بشكل أساسي من خلال الدوافع العدوانية والجنسية، فالسلوك العدواني بالغ الأهمية لدرء الحيوانات المفترسة والتنافس الفعال على الموارد النادرة، وللسلوك الجنسي بالغ الأهمية في تكاثر الجينات وإدامتها، وتعتبر هذه النظرة مستوحاة ولو جزئيا من مفهوم داروين لـ "الصراع من أجل الوجود"، ولكن نظرا لأن العدوان الجامح والجنس يقوضان النظام المجتمعي الضروري للحيوانات الاجتماعية للبقاء على قيد الحياة، اقترح فرويد أن رغبات البشر في ممارسة الجنس والعدوان تظل غير واعية بالقمع، حتى يتم تحويلها بطرق تسمح بالتعبير عنها بوعي بطريقة مقبولة اجتماعيا. هذا هو الأساس لنظرية التحليل النفسي لفرويد بأن السلوك البشري موجه من خلال الرغبات الجسدية المستبعدة من الوعي لإرضاء القوى الاجتماعية، وبالتالي فإن نسبة كبيرة من النشاط العقلي البشري تكون غير واعية.

جـ/ نظرة المدرسة السلوكية:

في معارضة مباشرة لمدرسة التحليل النفسي، جادل السلوكيون الأوائل مثل جون واتسونJohn Watson بأن السلوك الصريح فقط يمكن ملاحظته وقياسه بشكل مباشر، وأن الظواهر مثل المشاعر والرغبات والعمليات اللاواعية والوعي هي خيالات لا يمكن ملاحظتها اخترعها علماء النفس لشرح السلوك. جادل علماء السلوك أيضا بأن معظم السلوكيات الغريزية المفترضة التي درسها ماكدوجال وزملاؤه قد تم تعديلها بشكل كبير من خلال التجربة، مما يشير إلى إمكانية تعلمها، وليست استجابات فطرية. واجه السلوكيون أيضا صعوبة تحديد ما يعتبر غريزة وكانوا متشككين عندما تجاوزت قائمة الغرائز المزعومة في وقت ما 6000، واقترح علماء السلوك بدلا من ذلك أن السلوك البشري يتم تحديده في الغالب من خلال طبيعة الخبرات استجابة لمتطلبات البيئة، وفي شكل مبسط، كانت حجة هؤلاء النظريين أنه في بيئة معينة من المرجح أن تتكرر السلوكيات التي تتبعها نتائج مرغوبة، في حين أن السلوكيات التي تتبعها نتائج غير مرغوب فيها لن تتكرر.

وقال جون واتسون: "أعطني مجموعة من الأطفال الذين يتمتعون بصحة جيدة لتربيتهم وسآخذ أي شخص عشوائيا منهم وتدريبه وسأضمن أن يصبح أي نوع من المتخصصين قد أختار – طبيبا، أو محاميا، أو تاجرا، أقنعت هذه الأفكار السلوكية العديد من علماء النفس الباحثين في أوائل القرن العشرين بحصر تحقيقاتهم في السلوك الذي يمكن ملاحظته بسهولة.

د/ ظهور علم النفس الاجتماعي الحديث:

ظهر علم النفس الاجتماعي كمجال جديد وحديث للإجابة على التساؤلات الأساسية حول مسببات السلوك البشري وتفسيره، فهل هي غريزية، كما جادل ماكدوغال؟ أم هل هي الدوافع اللاشعورية التي أكد عليها فرويد وأتباعه المحللون النفسيون؟ أم أنها التجربة من خلال الاستجابة للبيئة كما صرح واتسون؟ تعتبر ولادة علم النفس الحديث بظهور كتابين مهمين في عشرينيات القرن الماضي

في عام 1922، نشر جون ديوي كتاب "الطبيعة البشرية والسلوك: مقدمة في علم النفس الاجتماعي"، وهو عمل أساسي وضع جدول أعمال لعلم النفس الاجتماعي الناضج. شعر ديوي بقوة أن السلوك البشري تحدده الغريزة (الطبيعة) والخبرة (التنشئة) وأن المفتاح هو تحديد التفاعل المعقد بين الطبيعة والتنشئة. كما أصر على أن كلا من العمليات الواعية واللاواعية هي محددات مهمة للنشاط البشري. علاوة على ذلك ، أكد ديوي بتفاؤل أن فهم الأسس النفسية للسلوك البشري سيسمح للبشر بالتأثير على ما يحدث لنا في المستقبل عن طريق حقن العقل المستنير في مزيج الغريزة البشرية والخبرة المحددة بيئيًا. وهكذا رأى الجنس البشري كعمل قيد التقدم يمكننا على الأقل الحصول فيه على بعض المدخلات الواعية التي قد يكون لها تأثيرات هائلة على التطور البشري. شدد ديوي أيضًا على الاهتمامات الوجودية الفريدة للبشر: كيف تجد المخلوقات المحدودة الواعية بذاتها معنى في عالم كبير لا يمكن فهمه من الاحتمالات اللانهائية على ما يبدو؟

أما الكتاب الآخر المؤثر في عشرينيات القرن الماضي فكان كتاب علم النفس الاجتماعي لـ Allport، الذي نُشر في عام 1924. حاول **ألبورت** أن يدمج في دراسة الوعي الأساليب التجريبية للسلوكية، والتطورات المستفادة من التحليل النفسي، والأفكار المستوحاة من نظرية التطور. ومثل جون ديوي، كان ألبورت مهتما بكيفية تطبيق البشر لما يتعلموه عن أنفسهم لتعزيز التغيير الفردي والاجتماعي البناء. أصبح كتاب علم النفس الاجتماعي هذا هو النص الكلاسيكي في هذا المجال لعقود من الزمان وألهم سلسلة من الأبحاث التجريبية التي بلغت ذروتها في عام 1931 في نشر علم النفس الاجتماعي التجريبي من قبل غاردنر ومورفي Gardner & Murphy. إلى جانب الترويج للوعد بالمقاربات التجريبية لدراسة الظواهر النفسية الاجتماعية، شدد هذان العالمان على الدور الأساسي للثقافة في تحديد الأنشطة البشرية، وشددا على ضرورة قيام علماء النفس الاجتماعي بالتحقيق بعناية في طبيعة ووظيفة الثقافة.

نشأ تطور مهم آخر في علم النفس الاجتماعي من الحرب العالمية الثانية تمثل في الرغبة في فهم كيف يمكن للأفراد في المجتمع إبادة جزء من سكانهم تقريبا. وتطلبت أحداث ادعاءات الهولوكوست أو ما يعرف بالمحرقة اليهودية تفسيرا، وبدأ علماء النفس الاجتماعي في اختبار نظريات القوة والتأثير الاجتماعي، وهو اهتمام من شأنه أيضا أن يغذيه النشاط السياسي الذي سيطر في أواخر الستينيات.

خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي ترسخت ثورة معرفية في معظم علم النفس، وانجرف علم النفس الاجتماعي أيضا في هذا التحول نحو فهم العمليات العقلية التي يقوم عليها السلوك، وبدأ معظم علماء النفس الاجتماعي في تبني النظرة المعرفية التي تنظر للإنسان كمعالج للمعلومات، وهو مفهوم انبثق منه منظور الإدراك الاجتماعي، وهو الطريقة التي يفهم بها الفرد عالمه الاجتماعي، يركز منظور الإدراك الاجتماعي على كيفية إدراك الناس وتذكرهم وتفسيرهم للأحداث والأفراد في عالمهم الاجتماعي، بما في ذلك أنفسهم، ولا يزال هذا التركيز بارزا حتى يومنا هذا، وقد توسع ليشمل تقنيات جديدة لقياس الأسس العصبية للفكر والعاطفة.

هـ/ المنظور المتكامل للسلوك البشري:

منذ أوائل التسعينيات، عادت أربعة اتجاهات تعود إلى جذور علم النفس الاجتماعي إلى الظهور بشكل متكامل في تفسير السلوك البشري وتتمثل هذه الاتجاهات في:

الاتجاه الأول: المنظور التطوري وهو جهد متجدد للنظر إلى البشر كنوع من الحيوانات وسلوكهم الاجتماعي كنتيجة لتكيفات تطورية معينة، حيث يؤكد هذا المنظور على أن البشر حيوانات وبالتالي يخضعون لنفس القوانين الفيزيائية والعمليات التطورية مثل جميع أشكال الحياة الأخرى. يشير هذا إلى أن الفهم الصحيح للنشاط البشري يتطلب التعرف على التكيفات البشرية الفريدة بالإضافة إلى تلك التي نشاركها مع المخلوقات الأخرى.

الاتجاه الثاني: المنظور الثقافي وهو إعادة اكتشاف أهمية الثقافة كعامل محدد للتفكير والسلوك، حيث يؤكد هذا المنظور على الدور المركزي للثقافة في كل ما يفعله الناس تقريبا،

وعلماء النفس الاجتماعي لطالما نظروا إلى البشر على أنهم مخلوقات اجتماعية في الأساس شيدت بيولوجيا لتعيش بالقرب من أعضاء آخرين من جنسهم، وللتنسيق معهم، وبشكل أكثر تبسيطا يؤكد المنظور الثقافي على تأثير الثقافة على التفكير والسلوك.

الاتجاه الثالث: المنظور الوجودي وهو العودة إلى فحص الأسئلة الأساسية حول الوجود والطبيعة البشرية ، فيما يتعلق بأمور مثل المعنى ، والهوية ، والجسد ، والإرادة الحرة، ومن هذا المنطلق يستخدم علماء النفس الاجتماعي بشكل متزايد منظورا وجوديا لفحص السلوك البشري، مثل الحاجة إلى المعنى والروابط الاجتماعية، والطرق التي يتعامل بها الناس مع الحقائق القاسية كحتمية الموت.

الاتجاه الرابع: منظور علم الأعصاب الاجتماعي الذي أصبح يكتسب اهتماما متزايدا لأن التقدم التكنولوجي أصبح يمكننا من فهم ما يجري داخل الدماغ بشكل أفضل عندما ينخرط الناس في التفكير والسلوك الاجتماعي، حيث يستخدم علم الأعصاب الاجتماعي تقييمات اتساع موجة الدماغ بعد التعرض لأحداث معينة وتدفق الأكسجين إلى مناطق مختلفة من الدماغ لفحص العمليات العصبية التي تحدث أثناء السلوك الاجتماعي، وبالتالي يركز منظور علم الأعصاب على فهم كيفية تأثير الأنظمة البيولوجية على العمليات الاجتماعية وتأثرها بها.

ثانيا: الافتراضات الأساسية لعلم النفس الاجتماعي.

يعتمد علم النفس الاجتماعي المعاصر على أربعة افتراضات أساسية ذكرها Greenberg et all (2015) كما يلي:

أ/ السلوك هو نتاج مشترك بين الشخص والموقف:

يعتمد هذا الافتراض على فكرة اقترحها كورت لوفين Kurt Lewin، مفادها أن أي سلوك معين يتم تحديده من خلال التأثيرات المشتركة للسمات الفردية للشخص والجوانب المحددة للموقف، ولفهم فكرة لوفين بالكامل، نحتاج أولا إلى تقدير أن البيئة المباشرة للشخص تؤثر بعمق على طريقة تفكيره وشعوره وتصرفه في الحياة الاجتماعية، وهذا يعني أن مواقف

معينة تثير إلى حد كبير نفس السلوك من الناس بغض النظر عن اختلاف هؤلاء الأشخاص كل منهم عن الآخر، ومن هذا المنطلق يركز معظم علماء النفس الاجتماعي على فهم الكيفية التي تتفاعل بها ميول الشخصية والعوامل الظرفية لتحديد أفكارنا ومشاعرنا وأفعالنا.

ب/ يعتمد السلوك على وجهة نظر مبنية اجتماعيا على الواقع:

الافتراض الثاني لعلم النفس الاجتماعي هو أن جميع الأفكار والمشاعر والأفعال البشرية تقريبا تتضمن وتتأثر بأشخاص آخرين، وبالتالي فهي اجتماعية بطبيعتها، فخلال حياتنا اليومية نلتقي بشكل روتيني ونتفاعل مع أشخاص آخرين، ولكن حتى عندما نكون وحدنا تماما، فإن الناس الآخرين يشغلون تفكيرنا وبالتالي يساعدون في تشكيل أفكارنا، ونتيجة لذلك تتشكل نظرتنا للواقع من خلال صلاتنا بالآخرين.

وقد أشار ليون فيستينغر Leon Festinger إلى أن النظر إلى الآخرين (مقارناتنا الاجتماعية) ضروري لكيفية فهم أنفسنا، فمن خلال ذلك نحصل على فكرة عن الطريقة الصحيحة أو الخاطئة للتصرف، عن ما هو جيد أو سيئ، وعن ما هو حقيقي أو غير حقيقي، وذلك من خلال فحص ما يفعله أو يقوله الآخرون، وبالتالي فإن أفكارنا وسلوكنا هو نتاج الواقع الاجتماعي الذي تعيش فيه.

جـ/ يتأثر السلوك بشدة بالإدراك الاجتماعي:

الافتراض الثالث لعلم النفس الاجتماعي هو أن الإدراك الاجتماعي يشكل السلوك، ويعتمد هذا الافتراض على عمل شخصية رائدة أخرى في علم النفس الاجتماعي هو فريتز هايدر Fritz Heider، الذي أكد على الدور المهم الذي تلعبه التفسيرات السببية لأفعال الآخرين في تحديد السلوك، فنحن نقضي قدرا كبيرا من الوقت والطاقة في التفكير فيهم، ومحاولة فهمهم، وفهم ما يقولونه ويفعلونه، وبالتالي فالطريقة التي يفهم بها كل فرد الآخرين، سواء أكان الفهم دقيقا أم لا، لها تأثير قوي على السلوك الاجتماعي لهذا الفرد.

د/ أفضل طريقة لفهم السلوك الاجتماعي هي استخدام المنهج العلمي:

الافتراض الأساسي الأخير لعلم النفس الاجتماعي، هو أن المنهج العلمي هو أفضل طريقة لفهم أسباب وعواقب أفكار ومشاعر وسلوكيات الحياة الاجتماعية، فكما أشرنا سابقا أن الفلاسفة والكتاب في العصور السابقة حاولوا فهم السلوك الإنساني لكن ما يميز علم النفس الاجتماعي بشكل أوضح عن هذه المحاولات هو التركيز بشكل أكبر على المنهج العلمي، وخاصة استخدام التجارب كطريقة لتطوير واختبار وتنقيح النظريات لفهم محددات السلوك الاجتماعي، حيث توفر الطريقة العلمية الأساس لكيفية قيام علماء النفس الاجتماعي بتجميع المعرفة فيما يتعلق بمحددات الأفكار والمشاعر والأفعال البشرية.